عوامل سقوط الدولة البابلية الحديثة

عـــــــــــــــام (٥٣٩ ق . م)

م.د.فارس عجيل جاسم

المقدمة :

شـهد العهـد البـابلي الحـديث (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م) تطـورات سياسـية واقتصـادية ودينيـة هامـة تضافرت في نهاية الأمر لتكون سبباً مباشراً في سقوط بابل على يد الملك الأخميني كورش الثاني (٥٥٩ – ٥٣٠ ق.م) عام (٥٣٩ ق.م). وبنهاية الدولـة البابليـة الحديثـة يكـون قـد انتهـى آخـر حكـم وطنـي فـي تـاريخ العراق القديم، ومنذ ذلك التاريخ ظل العراق تحت وطأة الحكم الأجنبي إلى أن تمكن المسلمون من تحريرهِ وطرد الساسانيين عام (٦٣٧م) .

ولعل من ابرز تلك التطورات، هو ذلك الصراع العنيف الذي دار بين كهنة معبد الاله مردوخ وبين آخر ملوك بابل المدعو نبو نائيد (٥٥٥–٥٣٩ ق.م)، على أثر محاولات الأخير للحد من نفوذهم وهيمنتهم على اقتصاد بلاده. إذ يذكر أن المعبد في ذلك العصر سيطر على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وأصبح يدير حركة التجارة الداخلية، بل تفوق اقتصاده على اقتصاد الدولة، في الوقت الذي ازدادت فيه أعداد الفقراء والعاطلين عن العمل، ولم تجد محاولات الملك نبو نائيد في إصلاح الوضع الاقتصادي نفعاً، فقد أدى الصراع إلى اتساع الهوة بينه وبين مؤسسة المعبد وبالتالي إلى تدهور الوضع الاقتصادي بشكل اكبر، وزاد من الطين بله تراجع حركة التجارة الخارجية وضعفَ نشاطها مع الشرق والغرب .

من خلال هذا البحث نتوخى تسليط الضوء على الظروف التي أحاطت ببلاد بابل ومن ثم أدت إلى سقوطها، على الرغم مما شهدته في عهد ملكها نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ – ٥٦٢ ق.م) من تقدم وازدهار

حضاري، وكيف سعى رجال الدين من اجل الحفاظ على امتيازاتهم ونفوذهم إلى التآمر ضد ملكهم، والعمل على الإطاحة بعرشه، إذ إنهم لم يتمهلوا عن الاتصال بالملك الأخميني والقيام ببث الدعاية لصالحه .

تضمنت الدراسة ثلاثة مباحث: تناول الأول منها، نشأة الدولة البابلية وأهم التطورات المتمثلة بتدخل المعبد في الشؤون السياسية من خلال عزل أو تعيين الملوك الذين لم يحكم بعضهم إلا مدةٍ قصيرة، كما عرجنا فيه على المشكلات الاقتصادية المتعلقة بالزراعة والتجارة، والأسباب التي دفعت الكثير من الفلاحين إلى هجرة أراضيهم، والعوامل التي أدت إلى أضعاف حركة التجارة .

وسلطنا الضوء في المبحث الثاني على المشكلة الدينية، إذ تطرقنا أولاً إلى دور المعبد في حياة العراقي القديم بوجهٍ عام، لكونه يمثل مركز الحياة الدينية والدنيوية وان سلطته تفوقت على كل حكام العراق القديم، وأشرنا فيه أيضاً إلى فقدان المعبد لسلطته في عهد الملك حمو رابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) ومن ثم استعادته لمكانته في العهود التالية، وناقشنا محاولات الملك نبو نائيد، الحد من نفوذ الكهنة ورجال الدين، تلك المحاولات التي أججت الصراع بين الجانبين .

أما المبحث الثالث، فقد تناولنا فيه المحاولات الجادة للملك نبو نائيد في معالجة الأوضاع الاقتصادية، من خلال الحد من نفوذ الكهنة، والبحث عن مصادر جديدة لتمويل اقتصاد الدولة، إذ انه توجه إلى حران ومن بعدها إلى تيماء لما لها من أهميةٍ اقتصادية، كونها تقع على طرقٍ تجاريةٍ هامة، واتخذها مقراً لحكمه، وكشفنا عن الأسباب التي أدت إلى فشل محولات الملك الإصلاحية، واشرنا إلى الاستياء العام الذي عم المدن البابلية والى الظروف التي أحاطت بسقوط بابل .

اعتمد البحث على عددٍ من المصادر العربية والمعربة وبعض المصادر الأجنبية، ولعل من أهم المصادر العربية كتاب الأستاذ طه باقر: (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،" الجزء الأول، ١٩٧٣م "). كتاب الأستاذ عامر سليمان: (العراق

فـي التـاريخ القـديم، " مـوجز التـاريخ السياسـي ، ١٩٩٢م "). كتـاب حيـاة إبـراهيم محمـد: (نبوخـذ نصر الثاني، ١٩٨٣م) .

أمـا أهـم المصـادر المعربـة: (بابـــل تـاريخ مصـور، ١٩٩٠م)، تأليـف جـون اوتـس، ترجمـة سمير عبد الرحيم الجلبي. (عظمة بابل، ١٩٧٩م)، تأليف هاري ساكز، ترجمة عامر سليمان. (العراق القديم، ١٩٨٤م)، تأليف جورج رو، ترجمة حسين علوان .

في حين كانت أهم المصادر الأجنبية:

Assyrian and Babylonian Chronicels .
A. K .Grayson,

Ahmed, Southern Mesopotamia in the
Sami Ashurbanipal . Said AL -time of

Sidney Babylonian historical text .
Smith,

ووضعت في نهاية البحث خلاصةٍ تضمنت أهم النتـــائج التـــي تـــم التوصـــل إليهـــا . فـي الختـام أقـول عسـى إنـي وفقـت فـي كتابـة هـذا البحث والله ولي التوفيق

المبحث الأول

أولاً ــ نشـأة الدولـة البابليـة الحديثـة(٦٢٦-٥٣٩ ق.م) :

فـي عـام (٦٢٦ ق.م) اعتلـى نبـو بلاصـر عرش الدولـة البابليـة الحديثـة، وكانـت أمامـه مهـام كثيرة، يـأتي فـي مقدمتها تحرير جميع أجزاء القسم الجنـوبي مـن العـراق، التـي كانـت تحـت السـيطرة الآشـورية، وقـد تمكـن خـلال سـنوات حكمـه التـي امتـدت حتـى عـام (٦٠٥ ق.م) أن يقضـي علـى آخـر تواجـد للقـوات الآشوريـة فـي حـران[١] عـام (٦٠٩ ق.م) ولـم يكتـف بـذلك بـل استطاع أن يمد نفـوذه إلـى خـارج بـلاد الرافـدين ويفـرض السـيطرة البابلية على بلاد الشام [٢] .

وتولى عرش بابل بعد وفاة نبو بلاصر ابنه نبوخذ نصـر الثـاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) الـذي عـاد مسرعاً إلى بابل بعد سماعه نبأ وفاة والده. إذ تذكر لنـا وثيقـة الأخبـار البابليـة، أن نبوخـذ نصـر الثـاني كـان علـى رأس حملـة عسـكرية فـي بـلاد حتـــي (سورية)، وإنـه تجـول فيهـا دون مقاومـة تذكر حتـى شـهر شـباط مـن عـام (٦٠٥ ق.م)، وعنـد عودتـه

إلى بابل حمل معه من حكّامها جزية كبيرة (Kabitu)[٣]

عندما ارتقى نبوخذ نصر الثاني العرش كان شاباً لم يتجاوز عمره العقد الثالث، إلاّ انه اكتسب خبرة ودراية عسكرية وإدارية وورث دولة تتمتع باستقرار سياسي، ساهم هو إلى درجة كبيرة في توطيدها، لذا وجد نبوخذ نصر الثاني الفرصة كافية لتنظيم شؤون المقاطعات الغربية وإدارتها ثم الانصراف إلى تعمير بابل العاصمة والمدن الأخرى حتى أصبحت بابل محط أنظار العالم[٤] .

ثم خلف نبوخذ نصر الثاني على عرش بابل عدد من الملوك الضعفاء الذين لم يستطيعوا المحافظة على الانجازات التي تحققت، بل ولم يستطيعوا إدارة تلك البلاد الواسعة، فقد حكم بعده ابنه أميل مردوخ الذي لم يدم حكمه سوى مدة قصيرة (٥٦٢-٥٦٠ ق.م)، لعله قتل في مؤامرة دبرها له كهنة بابل[٥]، وربما قتل من قبل زوج اخته المدعو نركال شار اوصر الذي نصب نفسه ملكا على بابل (٥٥٩-٥٥٦ ق.م)، وتورد الأخبار إن هذا الملك كان يمتلك أراضٍ زراعيةٍ واسعة حول مدينة بابل، كما يذكر انه كرس حكمه لانجاز مشاريع عمرانية تمثلت ببناء القصور وترميم المعابد وحفر الاقنية، أما أهم أعماله العسكرية فهي تلك الحملة العسكرية التي قادها على كليكية[٦]، ولكن عهده شهد تطوراً هاما تمثل في اتساع نفوذ كهنة الإله مردوخ في بابل[٧]. ثم خلف نركال شار اوصر على عرش بابل ابنه لباشي مردوخ الذي لم يحكم سوى بضعة أشهر، إذ لاقى حتفه في السنة نفسها التي حكم فيها (٥٥٦ ق.م)، في انقلاب داخلي يعتقد أن لرجال الدين يداً فيه، ثم نصب نبو نائيد (نبو نيدس) (٥٥٥-٥٣٩ ق.م)، الذي كان من كبار الدولة في عهد نبوخذ نصر الثاني، ملكا على بابل، وكان والده (نبو بلاصو أقبي) أحد الوجهاء والنبلاء في مدينة حران، وكانت أمه المدعوة (ادد ـ كبي) كاهنة عليا في معبد الإله (سين) في حران وهي من أصل آشوري كما يعتقد، ويذكر أن كل من جدته لأبيه وكذلك أبيه وأمه كانوا كهنة للإله سين في حران[٨]. ويحتمل أن أب وأم نبو نائيد كانا من أصل ملكي[٩]، وهذا ما يؤكده النص الذي ورد على لسانه إذ يقول: **(أنا نبو نائيد الذي يحمل شرف الانتماء**

إلى عائلة ملكية)، وتجدر الإشارة إلى أن نبو نائيد لا ينتمي إلى عائلة نبوخذ نصر الثاني، ويعتقد أن عائلته ترجع في أصلها إلى العائلة المالكة الآشورية خصوصاً إذا ما عرفنا أن حران هي آخر معاقل الآشوريين قبل نهاية إمبراطوريتهم[١٠] .

ارتقى نبو نائيد عرش الدولة البابلية الأخيرة، وهو كما يُذكر شخص مولع بالبحث عن أخبار الماضي، كما انه عمل على إعادة زخرفة المعابد القديمة في سومر وأكد، وتشير سجلات أيامه الأولى إلى انه ذو سياسة عسكرية نشطة[١١] ويذكر الأستاذ طه باقر، إن نبو نائيد كان إدارياً ورجل دولة من الطراز الأول، ويؤكد إن المؤرخين القدماء أهملوا شخصية هذا الملك بتركيزهم فقط على دوره في التنقيب واستخراج النصوص المطمورة في المدن القديمة ونعتهم له بـ (أول اثري) مع إشارتهم بإهماله شؤون الدولة، علماً انه أرسل عام (٥٨٥ ق.م) من قبل الملك نبوخذ نصر لتسوية النزاع مابين الميديين ومملكة ليديا في آسيا الصغرى، فضلاً عن انه وجه نشاطه لحل العديد من القضايا الخطيرة التي واجهته[١٢] .

واجه نبو نائيد بعد اعتلائه العرش البابلي مشكلتين رئيسيتين كان يتوجب عليه التصدي لهما، هما المشكلة الاقتصادية والمشكلة الدينية[١٣]، فقد شهدت فترة حكمه اضطراب الأوضاع في بلاد بابل، وتأزم الأوضاع الاقتصادية والدينية، وارتفاع الأسعار ارتفاعاً فاحشاً، وعم التضخم النقدي البلاد، بل وأصبحت الأوضاع الاقتصادية تهدد البلاد برمتها[١٤] بعد أن سيطر رجال المعبد على مقدرات البلاد الاقتصادية[١٥]، مما جعل نبو نائيد يعمل جاهداً للحد من نفوذ كهنة معبد الاله مردوخ، لكن دون جدوى[١٦] .

ثانياً ـ المشكلة الاقتصادية

أ- الزراعة :

تعد الزراعة العمود الفقري لبلاد وادي الرافدين في عصوره القديمة، إذ تميز وسط العراق وجنوبه بوجود المناطق السهلية الخصبة وتوافر المياه الأروائية الدائمة المتمثلة بنهري دجلة والفرات، فضلاً عن ملائمة المناخ لزراعة أنواع عدة من المحاصيل الزراعية وفي مقدمتها النخيل[١٧] .

إن شهرة بلاد الرافدين الزراعية جعلته مضرباً للأمثال، حتى سميت أرضه في العصر الإسلامي بأرض (السواد)، وينقل عن هيرودتس[١٨] أن غلتها تقدر بـ (٢٠٠ ضعفاً)، أما سترابون[١٩] فقدرها بـ (٣٠٠ ضعفاً). إن هذه التقديرات وإن بولغ فيها فإنها تكشف لنا عن سعة الأرض الزراعية وحجم الإنتاج[٢٠].

وتكشف لنا وثائق القرن السابع ق.م، أن بلاد بابل في هذا العصر كانت تعيش حياة اقتصادية فعالة، إذ أن بعض هذه الوثائق المتوافرة هي عبارة عن قوائم لبيوت وحقول وبساتين ومحال وكذلك عبيد، والبعض الآخر يتضمن أنواعاً من القروض بفائدة أو بدون فائدة أو تسليف أموال لاستخدامها كرؤوس أموال وتبادل بيوت وحقول، في حين تضمنت وثائق أخرى تسوية مشاكل الأراضي، مثل رهن بيوت وأولاد وأراضي، إلا أن المصادر الخاصة بالعمل التي وصلتنا قليلة، ويشير معظمها إلى إن الوظائف كانت في حالة بائسة جعلت من الصعب إعطاء نظرة شاملة للاقتصاد وفعالية العمل[٢١] .

إن من أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتج هي الحنطة والشعير والرز وكذلك كانت هناك محاصيل أخرى كثيرة يمكن أن نتعرف عليها من خلال القائمة الخاصة ببستان مردوخ أبلا أدينا[٢٢] (القرن الثامن ق.م) في جنوب بلاد الرافدين، مثل اللفت والفجل والسلق والثوم والبصل والرشاد، وأخرى تأتي زراعتها بدرجة اقل مثل الكزبرة والخشخاش والكمون[٢٣] .

ازدادت أهمية الزراعة في العصر البابلي الحديث (٦٢٦- ٥٣٩ ق.م)، بل أصبحت أهم الموارد الاقتصادية للبلد، وذلك بسبب الشلل الكامل الذي أصاب التجارة، نتيجة للمتغيرات السياسية التي شهدتها المنطقة والتي أدت إلى توقف التجارة البابلية باتجاه الشرق والغرب والجنوب، مما جعل من الضروري تعويض هذا القطاع الهام بالإنتاج الزراعي، وقد سعى ملوكها بالفعل بهذا الاتجاه لعلهم يستطيعون سد بعض نفقات الدولة[٢٤] الواسعة الأطراف والكثيرة الإنفاق[٢٥] .

وعلى الرغم مما ذكر عن فعالية الاقتصاد البابلي، إلاّ أن الفلاح كما جاء في النصوص

المسمارية، كان يعيش حياة بسيطة ومستوى معاشي منخفض مقارنة بمالكي الأراضي والتجار والصناع والعاملين في المدن، بل وأن الفلاح البابلي، كان يباع ويشترى مع الأرض التي يعمل فيها، ويوصف حاله بحال الفلاح في أوربا في العصور الوسطى[٢٦]. وزاد من معاناة الفلاح العراقي قديماً، تلك المشكلات التي واجهتها الزراعة، كمشكلة الملوحة التي أخذت تتغلب على الأرض والتي أدت بالتالي إلى تناقص المساحات المزروعة وانخفاض الإنتاج، وهذا بدوره دفع الكثير من الفلاحين في ذلك العهد إلى هجرة الأراضي . وتؤكد المصادر المسمارية، إن الملوحة قد أضرت بالزراعة في العهد البابلي الحديث، ففي الوقت الذي نجد فيه الحسابات التقديرية تشير إلى أن إنتاج جنوب العراق من القمح في عام (٢٤٠٠ ق.م) كان مساوياً لإنتاج الشعير (١٦%)، نجدها في حدود عام (٢١٠٠ ق.م) تتناقص حتى تصل إلى (٢%)[٢٧]. وتؤكد وثائق لكش إن الملوحة أخذت تتقدم مابين عامي (١٢٠٠-٦٠٠ ق.م) باتجاه المنطقة الوسطى، وكانت شديدة الضرر، حتى اعتقد العراقي القديم أن الملوحة من الآفات التي تنزلها الآلهة بالبشر لما يرتكبه من شرور وآثام. وتجدر الإشارة إلى أن الملوحة كانت أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى تدهور السلطة السياسية في عهد سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)[٢٨] ومن ثم سقوطها في عهد آخر ملوكها المدعو أبي سين (٢٠٢٨-٢٠٠٤ ق.م)[٢٩] .

كما عانى الفلاح العراقي القديم من فيضانات نهري دجلة والفرات التي اتسمت بالعنف وعدم الانتظام، إذ إنها كانت تأتي عكس الدورة الزراعية فتدمر المحاصيل التي هي على وشك أن تحصد[٣٠] .

لقد تعرضت بلاد بابل بوجه عام إلى مشكلاتٍ عدة فضلاً عن مشكلتي الملوحة والفيضانات، إذ إنها لم تشهد الاستقرار السياسي منذ سقوط السلالة الكشية (١٥٩٥-١١٥٧ ق.م) وازدادت الأوضاع تعقيداً مع قيام الإمبراطورية الآشورية الحديثة (٩١١- ٦١٢ ق.م) التي حاولت بشتى الوسائل بسط سيطرتها على بلاد بابل[٣١] .

من المؤكد أن الصراع بين بلاد بابل وآشور كانت له تأثيرات سلبية على الوضع الاقتصادي ، فقد أضرت المعارك التي دارت على أرض بابل كثيراً بالزراعة وتدمير الحقول إضافةً إلى ما قامت به القوات الآشورية من أفعال متعمدة مثل قطع وحرق الأشجار والبساتين[٣٢] هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر ساهمت القبائل الآرامية في عدم الاستقرار السياسي، إذ بدأت تلك القبائل تتوغل في بلاد بابل وآشور منذ نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول ق٠م[٣٣] مستغلة الفوضى التي عمت البلاد ، فاغتصبت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية من أصحابها الشرعيين البابليين في مدن بابل[٣٤] وبورسبا[٣٥]، كما إن القبائل الكلدية استحوذت هي الأخرى في عهد ملكها مردوخ أبلا أدينا (٧٢١-٧١٠ ق.م) على أراضٍ زراعية تخص البابليين من أهل سبار[٣٦] وبورسبا ونيبور (نفر)[٣٧] وبابل، وقام مردوخ أبلا أدينا نفسه بتوزيع أراضي مدن شمال بابل على جنده[٣٨] .

إن اجتياح هذه القبائل للسهل الرسوبي واغتصاب الأراضي الزراعية جعل الكثير من الفلاحين البابليين يتركوا مناطق سكناهم ويلجئوا إلى المدن وضواحيها. ونظراً لعدم قدرتهم على تامين متطلبات الحياة وضعوا أنفسهم تحت رحمة المعبد، الذي برز في ذلك الوقت كقوة اقتصادية كبيرة وأصبح مرة أخرى يتحكم بالحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية[٣٩] .

تشير المصادر إلى أن الحقول الزراعية في أوائل العصر البابلي الحديث كانت منتظمة على ضفاف الأنهار على شكل أشرطة طويلة ضيقة، ثم توسعت نحو الدخل، ومع تنوع التربة ودرجة خصوبتها، تنوعت المحاصيل الزراعية. وبما أن تربة ضفاف الأنهار هي الأكثر خصوبة، لذا خصصت لزراعة البساتين. ولكن يجب التنويه إلى أن معظم الأراضي الزراعية في هذا العصر صارت تحت نفوذ المعبد، وهناك أراضي زراعية واسعة امتلكتها عائلات بابلية، أو بيوتات مالية، كما امتلك ملاكون كبار مساحات أخرى، أما الدولة فقد تقلصت أملاكها من الأرضي الزراعية، وفقدت سلطتها ونفوذها أما سطوة المعبد. لهذا أصبحت الدولة في عهد الملك نبو نائيد غير قادرة على

سد نفقاتها الكثيرة، وخاصة بعد الشلل الذي أصاب التجارة الخارجية[٤٠] .

ب ـ **التجارة :**

شهدت تجارة العراق في العهد البابلي الحديث تدهوراً كبيراً وسريعاً بعد أن كانت مزدهرة، بل كانت احد أسباب ازدهار ورخاء العراق القديم ورقي حضارته، حتى قيل أن حضارة العراق حضارة تجارة. ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار التجارة هو موقع العراق الجغرافي بين القارات القديمة (آسيا و أوربا وإفريقيا)، وموقعه على رأس الخليج العربي الذي أطل من خلاله على العالم الخارجي، وأشار إلى هذه الأهمية عدد من الكتاب الكلاسيك (اليونان والرومان)، وتؤكد لنا البقايا الأثرية التي عثر عليها في عدد من بلدان العالم على ازدهار تجارة العراق قديماً[٤١] .

ولابد من الإشارة إلى أن ارض العراق تفتقد إلى المواد الأولية الداخلة في بناء الحضارة مثل الأخشاب والأحجار الصلدة، مما دفع العراقي القديم إلى الاعتماد على استيرادها من البلدان المجاورة، وقد غطيت نفقات استيرادها بما كانت تنتجه ارض الرافدين من غلاتٍ زراعية وبعض المشتقات الحيوانية المصنعة من لأصواف والأنسجة وغيرها، وكانت تنقل بواسطة طرق نقل برية ومائية إلا أن الطرق المائية كانت الأكثر استخداماً، لتوافرها من جهة ولسهولة ورخص استخدامها من جهة أخرى، ولكن هذا الازدهار التجاري لم يستمر إلى النهاية[٤٢] .

في عام (٧٠٠ ق.م) شهدت إيران هجرة قبلية كبيرة ومن الطبيعي أن تؤدي هذه الهجرة إلى عدم الاستقرار في الأوضاع هناك، وقد كانت أورارتو[٤٣] هي الأخرى تعيش وضعاً سياسياً مضطرباً. أدت الاضطرابات في المنطقة إلى انتعاش الحركة التجارية في بلاد بابل لفترة من الزمن، ولكن الحال تغير بعد استقرار القبائل المهاجرة، وقيام الدولة الأخمينية (٦٤٠ ــ ٣٣١ ق.م)، إذ توحدت إيران تحت حكم كورش الثاني (٥٥٩-٥٣٠ ق،م)، وكان من نتائج ذلك توقف حركة التجارة باتجاه بلاد بابل وتحولها باتجاه شمال إيران[٤٤] .

أما التجارة مع بلاد الشام والمدن الفينيقية مثل صور وصيدا، ونحو سواحل فلسطين، فهي الأخرى

أصبحت مضطربة بسبب الطموحات المصرية التي كانت باستمرار تشجع التمردات والثورات هناك ضد الدولة البابلية، لعلها تستعيد نفوذها السياسي وسيطرتها على المنطقة، فقد كانت بلاد الشام من الناحية النظرية تحت النفوذ البابلي، ولكنها في الواقع أصبحت عبئاً ثقيلاً على اقتصاده. وكان لبروز بلاد الإغريق كقوة تجارية استطاعت أن تفرض هيمنتها على البحر المتوسط، وتقوم بالنقل التجاري من سواحل بلاد الشام إلى السواحل الأيونية[٤٥] والليدية والكليكية والى مصر، الأثر الكبير على حركة تلك التجارة[٤٦]، في حين أضعفت تجارة القوافل العربية، النشاط التجاري البحري عند رأس الخليج العربي[٤٧].

وقد عمل كل ملوك العراق قديماً، على تأمين طرق التجارة المؤدية إلى بلاد الرافدين، لضمان وصول المواد الأولية التي تفتقر إليها البلاد[٤٨]، ولذا نجد الملك البابلي نبو بلاصر (٦٢٦-٦٠٥ ق) يتوجه مباشرة بعد إسقاط نينوى، نحو الشمال حيث الطريق التجاري المؤدي إلى موانئ البحر المتوسط، لبسط النفوذ البابلي ومنع الهيمنة المصرية هناك، وركز الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) من أجل الموضوع نفسه كل جهوده نحو الجبهة الشمالية الغربية لكثرة التمردات التي شهدتها بلاد الشام بتحريض من مصر[٤٩]، وقاد الملك نركال شار اوصر (٥٥٩-٥٥٦ ق.م) حملة على كليكية ربما لضمان السيطرة على تجارة آسيا الصغرى[٥٠]، في حين سعى الملك نبو نائيد ((نبو نيدس)) (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) جاهداً من أجل التعويض عما فقدته البلاد من مصادر للتجارة، بإيجاد بدائل أخرى، عن طريق السيطرة على تجارة شبه الجزيرة العربية من شمالها إلى جنوبها، وقد تمكن بالفعل من الاستيلاء على واحات شمال شبه الجزيرة العربية مثل تيماء، ودومة الجندل (ادومو)، ويثرب (يثريبو) وغيرها[٥١] .

المبحث الثاني

المشكلة الدينية :

نود قبل الحديث عن دور المعبد في العصر البابلي الحديث، أن نستعرض أهميته في تاريخ العراق القديم، إذ مثل المعبد منذ بدايته مركزاً للمدّنية، وتشير النصوص المسمارية، إن الحكم في العراق في الألف الرابع قبل الميلاد كان حكماً دينياً[٥٢]. وقد كان المعبد أقدم الأبنية التي تركزت حولها مستوطنات السهل الرسوبي، وهو مركز القرى الفلاحية التي تطورت بعد حين إلى مدن ثم

أصبحت دول مدن، إذ تدار من خلاله الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية[٥٣]، ففيه تؤدى الطقوس الدينيــة، كالصــلوات وتقـدم القـرابين، كمـا تمـارس مختلف النشاطات الاقتصادية. ويذكر أن المعبد في عصر فجر السلالات والعصر البابلي المتأخر كان يمتلك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، حتى اعتقد البعض من الباحثين أن جميع أراضي المدينة هي ملكاً للمعبد في العصور المبكرة، والى جانب ذلك فقد كان يقوم بتقديم القروض إلى السكان مقابل فوائد محدودة، وتودع فيه الأمانات، ويتاجر في الأملاك والعقارات المختلفة، فضلاً عن ذلك فهو مركزاً ثقافياً وكهنوتياً يتدرب ويتعلم فيه الكهنة والكتبة، وتؤّمن فيه النصوص المسمارية الأدبية والدينية، وكان المعبد أيضاً يقوم بدور المحكمة، يتولى فيها الكهنة دور القضاة ويشرفون على سير المحاكمات وأداء القسم[٥٤] .

يرجح أن كهنة المعابد هم أقدم الحكام في العراق القديم، ويأتي على رأس هؤلاء الكاهن الأعلى (الاين ـ EN) الذي كان يجمع بين يديه السلطتين الدينيــة والدنيويــة وظـل يتمتـع بـذلك حتـى ظهـور منصـب الإنسـي (Ensi) كحـاكم للمدينـة[٥٥]، إذ انفصلت السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية بسبب ثقـل المهـام الملقـاة علـى عـاتق الكـاهن الأعلـى (الاين)، فأصبح الكهنة وفقاً لذلك يتولون الأمور الدينيــة فقـط، وتفرغـوا بشـكل كامـل لإدارة شـؤون المعبد، في حين تولى الحاكم (الإنسي) مهمة الحكم فـي دولـة المدينـة، وسـكن مـع أسـرته وحاشـيته فـي قصـرٍ خـاصٍ بـه[٥٦]، وهـو يحكـم بتفـويض مـن الـه المدينة أو إنه يُعدّ وكيلاً لذلك الإله في إدارة دولته الأرضية، ثم ظهر فيما بعد لقب (لوكال) أي الملك، ولا يمكن لأي حاكم أن يحمل هذا اللقب إلا بعد أن يبسط نفوذه على مدن أخرى[٥٧]. وتجدر الإشارة إلى إن ملوك مختلف دويلات مدن العراق القديم يستمدون سلطاتهم الشرعية من الإله انليل اله مدينة نيبور[٥٨]، كونه يمثل السلطة والملوكية في بلاد وادي الرافدين[٥٩] .

وعلى الرغم من تطور النظام السياسي في بلاد وادي الرافدين إلاّ أن السلطة الدينية ظلت منافساً شديداً، بل تفوقت على كل حكام العراق القديم، وهذا ما تؤكده النصوص المسمارية، وخاصة النصوص

الكتابية التي وردتنا في إصلاحات أورو انمكينا[٦٠] (أور كاجينا في القراءات السابقة) حاكم دولة لكش، ولم تتحرر السلطة السياسية من السلطة الدينية[٦١] إلاّ في عهد الملك حمو رابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) الذي تمكن بحنكته السياسية وقوته الإدارية توحيد بلاد بابل، واستطاع أن يضع يده على جميع أملاك المعبد بما فيها الأراضي، وجعلها جزءاً من أملاك الدولة، ولكن هذا الحال كان مؤقتاً فما أن انتهى عهده حتى تسيّد المعبد مرة أخرى وبسط نفوذه على أراضٍ زراعيةٍ واسعة تمتد لأميال طويلة، وذلك وفقاً للنظرية التي ذكرناها سابقاً والقائمة على أساس أن جميع الأراضي هي ملك للإله الحامي للمدينة (الإله المحلي). ولم يستطع الملوك بعد حمو رابي الحد من نفوذ المعبد، لاسيما إذا ما عرفنا إن الملوك ظلّوا باستمرار خاضعين لسلطة المعبد، فهم يضعون سنوياً أثناء تأدية طقوس عيد الاكيتو شارات الملوكية أمام الكاهن، ويهان الملك على يد الكاهن إثناء تأدية ذلك الطقس، ولهذا فهو خاضع لإرادة الإله ورغبته ولم يستطع الخروج عن تلك الإرادة[٦٢] .

استعاد المعبد مكانته وسطوته الاقتصادية في العهد البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ ق.م)، ويعتقد أن من أسباب ذلك، هي تلك التطورات السياسية التي شهدتها البلاد بعد نهاية السلالة البابلية الأولى، وعلى وجه الخصوص التطورات التي حصلت في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، والتي تمثلت باجتياح القبائل الآرامية والكلدية لبلاد بابل هذا من جانب، ومنٍ جانب آخر عمل الملوك الآشوريون إبان محاولاتهم فرض الهيمنة على بلاد بابل، على توطيد سلطة المعبد واعتمدوا عليها كثيراً لفرض هيمنتهم، وسعوا بكل قوة إلى جعلها تحت إشراف إداري صارم يلجئون إليها في بعض الأحيان للاستلاف من كنوزها، وقد حررهم ذلك إلى حد بعيد من التدخل الحكومي، أما في العهد البابلي الحديث فقد امتنع كل من الملك نبو بلاصر والملك نبو خذ نصر الثاني من التدخل في شؤون المعبد بسبب تقواهما الدينية كما يذكر، واكتفيا بأخذ ٢٠% من وارداته[٦٣] .

نود أن نشير أن معلوماتنا عن الوضع الاقتصادي، كالتنظيمات الزراعية وعن العلاقات

التـي تـربط بـين المـالكين والفلاحـين فـي العصـر البابلي الحديث (الأخير) نستقيها بشكل رئيس من النصوص التي وردتنا من معبد (أي ـ ببار)[٦٤] (E – babar) في مدينة سبار ومعبد (أي – انا)[٦٥] (E – anna) في الوركاء، ومن بعض الأرشيفات الخاصة مثل نصوص أرشيف أجيبي[٦٦] (Egibi) ونصـــوص أرشيـــف موراشـــو[٦٧] (Mursu) وأرشيفات أخرى. وتعطي الوثائق التي وردت مـن معبـد (أي – إنـا) الخاصـة بالآلهـة عشـتار صـورة واضـحة عـن تعـاظم نفـوذ المعبـد خاصة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية[٦٨]، إذ يذكر أن ذلك المعبد سيطر على الأراضي الزراعية الممتدة من أوروك في الجنوب إلى العاصمة بابل فـي الشـمال[٦٩]، وكانـت هـذه الأراضـي الواسـعة يستأجر بعضـها المزارعون، ويشرف علـى البعض الآخر منها رجال المعبد، واتسع النشاط التجاري للمعبد نفسه ليشمل داخل البلاد وخارجها. وبذلك شكل المعبد وحدة اقتصادية مستقلة عن الحكومة المركزية[٧٠] .

جدير بالذكر أن الأراضي الزراعية الواسعة التي امتلكها معبد الإلهة عشتار في الوركاء، قد استحوذ عليها عن طريق مصادرتها كتسوية لالتزامات أو إنها جاءت من هدايا خاصة مقدمة للمعبد، وهناك أراضٍ هي عبارة عن منح ملكية، ويجب الإشارة إلى إن بعض الأراضي دخلت في حوزة المعبد بعد تنازل مالكيها عنها مقابل حصولهم على الحماية والأمن أو الإعفاء من بعض الالتزامات، والى جانب هذه الأملاك امتلك المعبد نفسه عدد من قنوات الري ضمن المنطقة المذكورة نفسها (منطقة أوروك)، وفرض على السفن المارة من خلالها ضريبة عرفت بالكـــارو(Karu)، وهناك قنوات أخرى تعود ملكيتها للدولة وهي متصلة بمنطقة بابل، تدفع السفن العابرة من خلالها ضريبة تعرف بـ (ميكسو ــ MiKsu) وعائديتها تكون للملك[٧١] .

استأجر المعبد لإدارة أعماله العديد من العمال والعبيد من أجل حرث الحقول وحصدها والعمل على كري الأنهار وحفر قنوات الري[٧٢] .

وفضلاً عن موارد الزراعة والتجارة، هناك مصادر أخرى لواردات المعبد، مثل ريع الحقول والبيوت، والضرائب الدينية المفروضة على المواطنين، وكذلك النذور والهدايا والقرابين التي تقدم طوعاً من قبل المواطن البابلي(٧٣). كما واضطلع المعبد بالإعمال المصرفية، وتجدر الإشارة إلى أن نسبة (٢٠% فقط) من واردات المعبد تخصص للملك وتسلم إلى ممثله(٧٤) .

يقف على رأس العاملين في المعبد موظفان احدهما يدعى شتاموا (Shatamu) والآخر "ريش ـ شاري ـ بيل ـ بيكيت " resh–shari–bel–) (biggt ويسمى أيضا قيبو (gipu)(٧٥). ويعد الشتامو أعلى سلطة في المعبد، إذ انه هو المسؤول عن استئجار العمال والعبيد وهو المشرف على حرث الأراضي الزراعية والحقول وجني الثمار وعن كري الأنهار وحفرها، ومن الأعمال الأخرى الملقاة على عاتقه الإشراف على أعمال الصيرفة وتقديم القروض للتجار والفلاحين والمزارعين الذين يلجئون إلى الصيارفة من كهنة المعبد للاقتراض بدل الالتجاء إلى أصحاب رؤوس الأموال، وذلك لما للمعبد من أهمية ومكانة دينية في حياة المجتمع، كما إن الشتامو كان المسؤول عن حفظ السجلات والحسابات الكبيرة الخاصة بالمعبد، ولم تتوقف أعمال المعبد على التسليف فقط بل شملت الائتمان التجاري والزراعي والرهني والعقاري وكل أنواع الائتمان الأخرى، ويمكن من خلال ذلك أن نحدد سلطة الشتامو بما يلي :

١. السيطرة على أملاك المعبد وعقاراته .

٢. تنظيم العلاقات بين الموظفين والمستخدمين .

٣ـ الإشراف على النشاطات التي لها علاقة بالطقوس الدينية والعبادة .

أما القيبو (Qipu)، فهو موظف ملكي اختاره الملك للمحافظة على امتيازاته داخل المعبد. لكن ومن خلال الوثائق الاقتصادية التي وردت من العهد البابلي الأخير نستنتج إن مهام القيبو قلصت وابعد شيئاً فشيئاً عن المشاركة الحقيقية في إدارة شؤون المعبد، وبالطبع إن هذه الأبعاد هو من قبل كهنة المعبد(٧٦) .

إن كـلاً مـن الشـتامو (shatamu) والقيبـو (Qipu) كانـا مسـئولين وملـزمين بتنظـيم الآلاف من السكان الذين يعملون لصالح المعبد[٧٧]، سواء مـن المـوظفين القـدماء بحقـوقهم المكتسـبة القديمـة، مثـل (المـار بـاني Mar–bani)، وهـؤلاء مـن أعضـاء الأسـر النبيلـة، أو النـبلاء المفروض عليهم واجبـات معينـة وحتـى أدنـى أصـناف العبيـد وبينـهم الأحرار من الرجال الذين يؤجرون أنفسهم لصالح المعبد مقابل أجر يومي، وهناك طبقة كبيرة من العبيد التي تعرف بـ (الشيركا –shirke) ومفردها شـــيركو (shirku) ومعناهـــا الموهـــوب[٧٨] أو (المكرس) وهم من المنذورين لخدمة المعبد منذ صـــغرهم دون مقابـــل، باســـتثناء تكفلـــه بـــإيوائهم وإطعامهم واكسائهم، وهم من الرجال والنساء، وقد أوقفـوا لخدمـة المعبـد مـدى الحيـاة وشـكلوا طبقـة اجتماعية جديدة تتوسط الأحرار والعبيد[٧٩] .

كان مركز الشيركو وراثياً، ومميزٌ بوشم خاص يوضـع علـى رسـغه علـى شـكل نجمـة، وهـو رمـز الآلهـة عشـتار آلهـة الوركـاء. وقـد اختلـف مركـز الشـيركو عـن مركـز العبيـد الاعتيـاديين، إذ كـان بإمكانه أن يعمل في حرف مهنية وتجارية، وهذا ما يتضـح من خـلال الرسـائل المتبادلـة ما بين موظفي المعبد، كما له الحق أن يتبوأ مراكز ذات مسؤوليات عالية[٨٠] .

ومـــع إن حصـــة الملـــك مـــن واردات المعبـــد الهائلـة لاتزيد عن ٢٠ % في كل الأحوال[٨١]، إلا انـه يبدو من خـلال الوثائق التـي جاءت من العهد البابلي الحديث إن حصة الملك من تلك الواردات لم تكـن متسـاوية، ويـتم اسـتلامها بوسـاطة مـوظفين خاصين عينوا لهذا الغرض .

ويذكر أن من بين الواردات التي تذهب إلى المعبـد مباشـرةً، الأعشـار علـى التمـور وصـيد الأسماك، والأجرة المدفوعة (عيناً) على الأراضـي الزراعية، ورسوم الماشية، والقرابين التقليدية التي لم تكن اختيارية فعلياً والتي تقدم من قبل الفلاحين في أعيـاد معينـة، وهنـاك رسـوم المـوت التـي تجبـى مـن الأغنيـاء[٨٢]. ويمكـن القـول: إن المعبـد فـي العهـد البابلي الحديث أصبح ثنائي الأهمية، (الأولى) هي جمـع إيـراد الإيجـارات والرسـوم والهـدايا، و(الثانيـة)

تتعلق بالتخصيصات والأجور المدفوعة للمأجورين من عمال وعبيد[٨٣] .

وكان إنتاج المقاطعات التابعة للمعبد، يرسل إلى مستودعاته في الوركاء أولاً ومهما كانت الوجهة النهائية لها. وتتم عملية النقل في أكثر الأحيان بواسطة السفن لسهولتها ورخصها، وهناك رسالة توضح لنا كيف تتم عملية النقل لإرسال شحنة من الأغنام، يأمر بها الكاتب ولعله شتامو معبد (أي – أنا): (**إذا كانت الأرض ملائمة دعهم يأتون على الإقدام وإلاّ دعهم يأتون بالسفينة**)، وربما السفن المستخدمة هي من ممتلكات المعبد أو إن بعضها يؤجر من أصحاب السفن، ومن المؤكد إن هذه السفن يعهد بها إلى الموظفين السابقين في المعبد، لكنها على ما يبدو ما أن تقترب من مدينة الوركاء متجهة إلى المعبد حتى تصبح جميعها تحت إشراف الشتامو. وقد جاء ذكر هنا وهناك لسادة الموانئ على طول القنوات، وربما كان هؤلاء موظفين ملكيين لهم قوة إيقاف السفن العابرة وأخذ الرسوم منها، غير انه هناك امتياز لسفن المعبد العامة، تمثل بمنحها الإعفاء من رسوم العبور، ويتم ذلك عن طريق تزويدها بإشارة تدعى ختارو (Hataru) ولم يتسنى لنا معرفة طبيعة هذه الإشارة[٨٤] .

إن الأوضاع الاقتصادية الجديدة التي أصبحت عليها بلاد بابل والتي تمثلت بتسيّد المعبد وسيطرته على شؤون الدولة الاقتصادية وتقليص نفوذها، وعمل كهنة معبد (أي ـ أنا) على تقليص نفوذ القيبو (Qipu)، هي التي حدت بالملك نبو نائيد (٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق. م) إلى العمل على الحد من نفوذ ونشاط المعبد[٨٥] عام (٥٥٣ ق.م) وذلك من خلال إرسال اثنين من الموظفين إلى معبد (أي ـ أنا) في أوروك لتأدية المهمة، وهما (الضابط سيد العينة) و(الضابط المؤتمن على الصندوق)، وأعطاهما التعليمات للإشراف على صفقات المعبد والعمل على جباية منتظمة لضريبة العشر الملكية. وبالطبع إن هذه الإجراءات لم تلق قبول الكهنة وعُدّ ذلك تدخلاً في شؤون المعبد مما جعلهم يشنوا حملة تشهير عنيفة على الملك نبو نائيد، في الوقت الذي كانت فيه البلاد تتعرض إلى تهديد الملك الأخميني كورش، فانحاز أولئك الكهنة إلى جانبه ضد ملكهم[٨٦] .

وينبغي القول إن ما أقدم عليه الملك نبو نائيد من إجراءات إدارية لغرض إيجاد التوازن في داخل المعبد، قد حدّ بالفعل من سلطات المعبد وسيطرته الواسعة على المقدرات الاقتصادية للبلاد، وصيّرت الأنظمة الإدارية لمصلحة اقتصاد الدولة، ومن ثم الاستفادة من هذه الأموال لسد نفقاتها المختلفة[٨٧] .

هناك عوامل أخرى ساهمت في تأزم الأوضاع الاقتصادية في بلاد بابل، لعل من أبرزها، البذخ والصرف الحكومي على المشاريع العمرانية[٨٨] والقصور والمعابد والجنائن بما لايتناسب مع واردات الدولة، فضلاً عن إهمال الدولة لمشاريع الري[٨٩] وانتشار مرض الطاعون[٩٠]، كما إن الماكنة العسكرية المتمثلة بوجود جيش على أهبة الاستعداد بصورة دائمة، ابتداءً من عهد نبوخذ نصر الثاني، طالما أرسل إلى خارج البلاد وبقي هناك لسنوات عدة[٩١]، وعلى وجه الخصوص إلى سورية وفلسطين، ومثال على ذلك حصار مدينة صور الذي استمر (ثلاث عشرة سنه)، وهذا بالتأكيد له عواقب سلبية على الاقتصاد، إذ أن معظم إفراد الجيش هم من الطبقات العاملة، مما يعني تعطيل هذه الطبقة المهمة عن الإنتاج والبناء، والى جانب ذلك، الإنفاق المالي الطائل على القوات العسكرية[٩٢]. ولوقارنا الدولة البابلية بالدولة الآشورية، نجد أن الأخيرة على الرغم من وصفها بالدولة العسكرية لكنها لم تحتفظ بجيش دائم وإنما تكتفي بإرسال حملات تستمر لعدة أشهر من كل عام[٩٣] .

ومع أن واردات بلاد بابل في عهدها الحديث كانت عديدة، لكنها جميعاً في نهاية الأمر توقفت أو أصبحت ضعيفة لا تجدي نفعاً للأسباب التي ذكرناها سابقاً، إذ كان مصدر الأموال، الزراعة والتجارة، والأموال التي تجبى من الشعوب الخاضعة للسيطرة البابلية، وما تدره الحروب من غنائم، وهناك أموال مصدرها الناس الأغنياء تدفع كبدل عن الخدمة العسكرية (وتعرف بضريبة الحرب)، فأصبحت الدولة بعد توقف هذه الموارد، عاجزةً حتى عن سد نفقات العائلة المالكة، بل وأصبحت عاجزةً أيضا عن منح موظفي البلاط أجورهم، وعن أكساء وتغذية العاملين في المشاريع العامة[٩٤] .

يعُدّ الإسراف في الإنفاق سواء في الجوانب العمرانية أم على الجيش، إلى جانب توقف حركة تجارة البلاد مع الشرق والغرب، فضلاً عن توسع نفوذ المعبد وسيطرته على الشئون الاقتصادية، من الأسباب الرئيسة التي أرهقت الخزينة الملكية. وقد سجلت الأسعار ارتفاعاً فاحشاً وصل إلى(٥٠%) ما بين عامي (٥٦٠-٥٥٠ ق.م)، ثم بلغ إجمالي الزيادة ما بين (٥٦٠ - ٤٨٥ ق.م) نحو(٢٠٠%)[٩٥] وتبين لنا سجلات البيع والشراء والقروض ارتفاع أسعار المواد الضرورية، كالمواد الغذائية والحاجات اليومية[٩٦]. ويقول جورج رو: إن القوة الشرائية للشيقل[٩٧] انخفضت من شراء (٢ ـ ٤ كا) للشيقل الواحد في عهد نبوخذ نصر الثاني إلى (١ ـ ٢ كا) في عهد الملك نبو نائيد. كما أن الأمة (العبدة) التي كانت تكلف (٤٠ شيقلاً) في عام (٦٠٠ ق.م) ،أصبح سعرها (٥٠ شيقلاً) بعد (٥٠ عاماً)، وشمل ارتفاع الأسعار أيضا كل الجوانب الحياتية الأخرى، مثل الملابس والسلع الضرورية في الوقت الذي بقيت فيه الأجور متدنية إلى حدٍ ما طوال ذلك الوقت، فعلى سبيل المثال معدل أجرة العامل غير الماهر شهرياً (شيقلاً واحداً)، وهذا يكفي لشراء (بشلين)[٩٨] من الحنطة و(ثلاث بشلات) من التمر، وهو بالكاد يكفي لتغذية إفراد العائلة، مما دفع الكثير من المعوزين إلى الاستلاف لأمدٍ طويل[٩٩] .

استغلت الطبقات الميسورة والجالية اليهودية المتواجدة في بابل سوء الأوضاع الاقتصادية لجني الأرباح وزيادة ثراءها[١٠٠]، إذ كانت تلجأ العوائل الفقيرة إلى الاقتراض من البيوت المالية والمعابد، بأسعار فائدة عالية قد تصل من (٢٠ـ ٣٠%)[١٠١]. وبرزت في (القرن السادس ق.م) العوائلء المصرفية مثل عائلة (أجيبي) في بابل، التي توصف بأنها كانت أغنى من الدولة نفسها. كما استعمل في التعامل التجاري أوزاناً قياسية من الفضة أدت إلى تسهيل عقد الصفقات وتشجيع حركة التسليف وتيسير عمليات التدوين. وبما أن الفضة قابلة للاكتناز والمضاربة، فقد أدى استعمالها إلى تفشي الربا وزيادة الرهونات، مما وسع ذلك مساحة المدانين الذين انتقلوا إلى طبقة العبيد[١٠٢]. وأصبح في هذا العهد بيع الأسر لممتلكاتها من اجل سد حاجتها من المواد الغذائية، أو تسليم أطفالها

إلى المعبد لعدم قدرتها على إعالتهم، حالةً شائعة في البلاد[١٠٣] .

سعى الملك نبو نائيد على الرغم من الصراع الذي دار بينه وبين كهنة الإله مردوخ، على أثر تعيين الضابط الملكي (سيد العينة) والضابط المؤتمن على الصندوق[١٠٤]، إلى اتخاذ إجراءات جديدة، الهدف منها تقليص نفوذ الكهنة من جانب وإيجاد التوفيق الديني في إنحاء البلاد من جانبٍ آخر، وكان من ابرز تلك الإجراءات هو اتخاذ الإله سين (اله القمر) الإله الحامي لمدينة أور، ومدينة حران إلهاً عاماً لامبرطوريته، ولكنه في الوقت نفسه لم يلغ عبادة الإله مردوخ، إذ أراد فقط كما يعتقد تقليص نفوذه، وبالتالي الحد من سطوة كهنته[١٠٥]، أما لماذا اختار الإله سين دون الآلهة الأخرى ؟ هذا ما اختلفت حوله الآراء .

يشيع البعض على أن اختيار الملك للإله (سين) كان بتأثير أمه المدعوة (ادد ـ كبي)، التي كانت كاهنة عليا للإله (سين) في مدينة حران، والتي قضت حياتها في خدمته، ويستشهد على ذلك بان الملك منذ أن تولى العرش عمل على توسيع البيتين المقدسين للإله في كلٍ من أور وحران، بل ويشار إلى أنه عين ابنته (بعل ـ شالتي ـ ننار) كاهنة عليا في معبد الإله سين في أور، ويذكر إنه أراد أن يرفع مكانة الإله (سين) إلى مرتبة الإله الوطني مردوخ[١٠٦] .

أو لربما أراد بهذه الخطوة توحيد سكان بلاده حول إلهٍ واحد يكون مقبولاً لدى الجميع، وخصوصاً إذا ما عرفنا أن البلاد أصبحت تضم عدداً كبيراً من الآراميين فضلاً عن القبائل الآرامية المنتشرة في أنحاء الشرق الأدنى، على أمل مواجهة الخطر الأخميني[١٠٧] .

يقول الأستاذ طه باقر، إن الاهتمام بالإله (سين) جاء نتيجة التأثيرات الدينية التوحيدية لليهود الذين جاء بهم نبوخذ نصر الثاني من فلسطين، على معتقدات بلاد الرافدين[١٠٨]، مما أدى ذلك بالتالي إلى حدوث صراع بين هذه الأفكار، ولعل هذا هو الذي دفع الملك نبو نائيد إلى اتخاذ طريقٍ وسطٍ. ولكن يبدو أن الملك المذكور كان يسعى إلى تحقيق هدفٍ آخر مهم من هذه العبادة، وهو السيطرة على الطريق التجاري المار عبر

حران[١٠٩]. وتجدر الإشارة إلى إن بلاد الرافدين شهدت قبل الديانة اليهودية، ظهور أولى الديانات التوحيدية عندما دعا إبراهيم الخليل (ع) إلى عبادة الله ونبذ عبادة الشرك والأوثان[١١٠] .

أما الملك نبو نائيد فيقول: ((**جعلتني الآلهة أرى حلماً في بداية عهدي ، كان مردوخ السيد العظيم، وسن نور السماء والأرض. قال لي مردوخ (يا نبو نائيد ملك بابل اجلب الأخير على حصانك وعربتك وشيد معبد ايهول هول (أي معبد اله القمر) وحرفياً (بيت المتعة)، بحيث يمكن لسن السيد العظيم أن يتخذ مكان إقامته هناك) وأجبت مردوخ كبير الآلهة: (إن اومان ماندا[١١١] تحاصر حالياً المعبد الذي أمرتني أن أشيده، وقوتهم العسكرية هائلة) غير أن مردوخ قال لي (لن يبق وجود للاومان ماندا الذين تحدثت عنهم ولا لبلادهم ولا لكل الملوك الذين يحاربون معهم)**))[١١٢] .

من المحتمل جدا إن الملك نبو نائيد أراد من رفع مكانة إله القمر (سين) إلى مصاف الإله مردوخ، تحقيق أكثر من هدف، ولكن دون أن يستثير غضب واستياء كهنةً مردوخ الإله القومي لبلاد بابل، لذلك نراه يقول انه أمر ببناء معبد خول ـ خول (ايهول ـ هول)، وبما أن هذا الأمر صادر من قبل الإله مردوخ نفسه فهذا يعني لا يمكن رفضه، وبذلك يعطي لنفسه الشرعية ببناء المعبد في حران. ونعتقد أيضا أن الملك نبو نائيد أراد بهذه الخطوة الحد من نفوذ كهنة الإله مردوخ الذين أصبحوا يتحكمون بالحياة السياسية والاقتصادية، بل وسلطتهم صارت أعلى من سلطة الحكومة نفسها .

المبحث الثالث

بابل بين معالجات الملك نبو نائيد وتآمر رجال الدين

يبدو تحدي الملك نبو نائيد لكهنة الإله مردوخ أجج الصراع بين الطرفين كما أن الأزمة الاقتصادية أخذت تتفاقم[١١٣]. ومن أجل التخلص من ضغط الكهنة ونفوذهم يترك نبو نائيد العاصمة بابل، ويتوجه إلى مدينة حران للسيطرة على طرق التجارة الرابطة بين بلاد بابل، وبلاد الشام، ومصر، ثم توجه من هناك إلى تيماء الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية وفرض سيطرته عليها[١١٤]، وبعد ذلك توغل في عمق الصحراء وبسط نفوذه على فدك ويثرب، وهذه المدن جميعها تقع على ما

يسمـى بطريـق البخـور القـادم مـن جنـوب شبـه الجزيـرة العربيـة بـاتجاه بـلاد الشـام ومـوانئ البحـر المتوسـط ، كمـا انـه أراد السيطـرة علـى طريـق القوافـل الـذي بـدأ ينشـط منـذ القـرن (السـادس ق.م) بنقـل منتجـات كـل مـن الهنـد وشبـه الجزيـرة العربيـة. وقد اتخذ مـن تيمـاء قاعـدةً لـه لمـدة (١٠ سنـوات)، ومـن المحتمـل أن المـلك نبـو نائيـد اخـذ معـه فـي رحلتـه هذه بعض اليهـود مـن بابـل، وهـم الذيـــن نجدهـــم فـــي (المدينـــة) فـــي العـــهد الإسلامي[١١٥] .

ربمـا أراد الملـك نبـو نائيـد بتركـه ولـده (بيـل ـ شار ـ اوصر) على رأس الحكم في العاصمة بابل والتوجه إلى حران ومن ثم إلى تيماء، السيطرة على الطرق التجارية المارة من هناك ، لمعالجة الوضع الاقتصادي الذي تمر به البلاد، ولكن نعتقد أن السبب الرئيس من التوجه إلى تيماء هو للتخلص من سلطة الكهنة، إذ أن وجوده في العاصمة يفرض عليـه تأديـة الطقـوس الاحتفاليـة فـي رأس السـنة (عيـد اكيتـو) ، الـذي يتوجـب فيـه حضـور الملـك شخصـياً، ولـو كـان الأمـر غيـر ذلـك لكـان الملـك أرسل ابنه على رأس الحملة، بدلاً من ان يخرج هو تاركا عاصمته لـ (١٠ سنوات)، ويبدو أن (بيل ـ شار ـ اوصر) كان مؤهلاً لتولي الحكم نيابةً عن أبيه، وهذا يعني انه كان قادراً على قيادة الحملة إلى تيماء بنفسه. ويذكر أن بلاد بابل كانت تتمتع بثروة زراعية يمكن أن تعوض الجانب التجاري، ولكن تلك الثروة كانت بأيدي رجال الدين .

إن توقـف احتفـالات عيـد (اكيتـو)، وتـدهور الأوضـاع الاقتصـادية أدت إلى استياء سكان المدن البابلية لاسيما العاصمة بابل، نفر، بورسبا، لارسا، الوركـاء وغيرها مـن المـدن الأخرى، ويبـدو أن هذا الاستياء تحول إلى تمرد استمر على مدى العامين الأخيرين، أي حتى عام (٥٣٩ ق.م)[١١٦] .

استغل خصـوم نبـو نائيـد حالـة الاسـتياء العـام الـذي حصـل فـي البـلاد، وعلـى رأسـهم رجـال الـدين وكهنـة الإلـه مردوخ، وأخـذوا يبثـون الدعايـة المضـادة لملكهـم، ويروجـون للملـك الأخمينـي كـورش الـذي عدوه المنقذ لهم[١١٧]. وأصبحت السلطة مهددة كما يقول جورج رو، من قبل حزبٍ موالٍ للأخمينيين في الوقت الـذي أخـذ فيـه كـورش يعمـل علـى كسـب ود

شعوب البلدان المجاورة. ونستطيع أن نعرف من خلال أحد النصوص، مدى الاتهامات التي كان يكيدها كهنة الإله مردوخ للملك نبو نائيد، وإنهم كانوا يفضلون الملك كورش على ملكهم، ومن خلال نصٍ آخر يعود للملك نبو نائيد، ندرك أن الملك لم يترك عبادة الإله مردوخ، وإن كل ما قام به الكهنة هو من أجل تأجيج الأوضاع وإضعاف موقفه، لذا اتهموه بالكذب والتفاخر زوراً بانتصاراتٍ لم يحققها، وانه كفر بإلوهية مردوخ، وعبد الإله (سين)، وقد انتشرت هذه الدعاية بشكل سريع[١١٨]. ومن المؤكد أن انتشار تلك الدعاية كان بسبب العامل الديني وتأثيره على مشاعر المواطن البابلي، والدعاية التي استخدمت هي جزءً من الحرب التي شنت ضد الملك نبو نائيد .

في عام ٥٣٩ ق.م أدرك نبو نائيد مدى الخطر الذي يتهدد العاصمة بابل فعاد إليها مسرعاً، وأدى فيها في العام نفسه طقوس احتفالات عيد (اكيتو)، وكان ذلك العيد آخر عيد وطني لبلاد بابل[١١٩]. ولعل شعور الملك بعدم قدرة ابنه بيل ـ شار ـ اوصر[١٢٠] على مواجهة التحديات التي تحيط به، هي التي جعلته يعود إلى العاصمة، على الرغم من ان ابنه يوصف بأنه محارب كفوءٌ، ولكنه على ما يبدو لم يكن سياسياً محنكاً [١٢١] .

بدأ نبو نائيد بعد عودته فوراً بإعداد العدة لمواجهة الخطر الأخميني، ولكن على الرغم من كل الإجراءات والتدابير التي اتخذها، تمكن كورش من دخول بابل في ٢٩ تشرين الأول أو في ١٣ تشرين الثاني من عام ٥٣٩ ق.م[١٢٢] .

وأخيراً نود أن نؤشر هنا دور اليهود من اولئك الذين أسرهم نبوخذ نصر الثاني وأسكنهم في بابل، في المؤامرة التي أحيكت ضد البلاد من خلال بث الدعاية والتمهيد لصالح كورش، بل وعدوه المسيح المنقذ، وينقل عن المؤرخ اليهودي جوزيفوس فلادفيوس، أن كورش أرجع جميع انتصاراته إلى الرب الذي يؤمن به اليهود. وتظهر الإشارات التي وردت في العهد القديم حجم النقمة التي يضمرها اليهود للبابليين والآشوريين[١٢٣] .

الخـــــلاصـــة

في نهاية هذا البحث يمكن تسجيل النتائج التالية :

١ـ لم تشهد بلاد بابل الاستقرار السياسي منذ نهاية العهد الكشي عام (١١٥٧ ق.م) وقد ساهمت في ذلك بشكل كبير القبائل الآرامية والكلدية، مما أدى على المدى الطويل إلى إضعاف البلاد .

٢ـ أستعمل ملوك الإمبراطورية الآشورية الحديثة (٩١١ ـ ٦١٢ ق.م) كل الوسائل التي من شأنها إضعاف بلاد بابل حتى يتمكنوا من ضمها إلى بلادهم، ومن الأساليب التي استخدموها، تدمير الاقتصاد البابلي. إذ إنهم كانوا يأمرون قواتهم بنهب وتدمير المحاصيل الزراعية وحرق البساتين فكان لذلك أثر على الاقتصاد في الحقبة اللاحقة .

٣ ـ تعد الأوضاع الاقتصادية السيئة التي عمت البلاد نتيجة لتسيّد المعبد وسيطرت الكهنة على الأراضي الزراعية والتجارة، السبب المباشر في إضعاف البلاد وتسهيل مهمة الملك الأخميني كورش الثاني في احتلال العاصمة عام (٥٣٩ ق.م). بل أن الكهنة ورجال الدين لم يتوانوا من التآمر على الملك نبو نائيد من أجل المحافظة على مصالحهم وامتيازاتهم .

٤ ـ لم تفلح محاولات الملك نبو نائيد في معالجة الأوضاع الاقتصادية سواء في توجهه إلى تيماء أو بالتصدي إلى رجال الدين، بل على العكس من ذلك أدت إلى تفاقم الوضع وحدوث استياء عام في المدن البابلية، مما جعل السكان يتقبلون الدعاية التي كان يبثها كورش، كون ألهي بابل (مردوخ ونابو) اختارته لحكم البلاد. وقد ساهم بنشر هذه الدعاية رجال الدين البابليون واليهود، فادى ذلك إلى إضعاف الموقف الداخلي ومن ثم عدم القدرة على التصدي للغزاة الأخمينيين .

هوامش البحث

(١) حران : تسمية اشتقت من الكلمة الاكدية (Harranum)، وتعني الطريق. والكلمة ذات دلالة على أهمية المدينة التجارية، إذ إنها تقع على ملتقى الطرق التجارية بين بلاد بابل من جهة وبلاد الشام ومصر وفلسطين والجزيرة العربية من جهة أخرى. أسامه عدنان يحيى ، بابل في العصر الأخميني (٥٣٩ ـ ٣٣١ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣ م)، ص٨٩.

(٢) حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني ٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م، (بغداد، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٣م)، ص٤٣ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه، ص٦٠ ـ ٦١ .

(٤) المصدر نفسه، ص٦١ .

(٥) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٣، (بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٧٧م) ج١، ص٥٥٠ .

(٦) كليكية: وردت في المصادر الآشورية بهيئة (Que) كما انها وردت باسم فريجية (موسكي ـ Muski) في الأخبار الآشورية، وجاء اسم ملكها على هيئة (ميتا) وهو ميداس في المصادر الكلاسيكية. وهي إحدى دويلات آسيا الصغرى، تمكن الملك سرجون الثاني من القضاء على استغلالها عام ٧١٧ ق.م. انظر: المصدر نفسه، ص٥١٣ .

(٧) عيد مرعي، بابل في عهد نبو نائيد آخر ملوكها ـ بحث منشور ضمن مجلة دراسات تاريخية، (جامعة دمشق، عدد ٦٣ـ ٦٤ حزيران، ١٩٩٩م)، ص٢٩ .

(٨) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٠ ـ ٥٥١ .

(٩) جورج رو، العراق القديم ـ ترجمة حسين علوان، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٤م)، ص٥١١ .

(١٠) جون اوتس، بابل تاريخ مصور ـ ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي،(بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠م)، ص٢٠٠ .

(١١) المصدر نفسه، ص٢٠٠ .

(١٢) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٠ ـ ٥٥١؛ لمزيد من التفاصيل عن نبو نائيد ودوره التنقيبي انظر: انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ ترجمة توفيق سليمان وآخرون، (دمشق، لام، ١٩٦٧م)، ص٣٦٣ .

(١٣) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم ـ موجز التاريخ السياسي، (الموصل، دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م)، ج١، ص٢٥٢ .

(١٤) عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧م)، ص٢٠٢ .

(١٥) باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م)، ج ١، ص٢٥٣ .

(١٦) هاري ساكز، عظمة بابل ـ ترجمة عامر سليمان، ط٢، (بغداد ،دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٩م)، ص٣٠٠ـ٣٠٢ .

(١٧) هديب حياوي عبد الكريم غزاله، الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبو نئيد في قيادتها، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١م)، ص١١٦ .

(١٨) هيرودوتس: ويعني اسمه هدية الإلهة هيرا، ولد في مدينة هاليكارناسوس (Hailcarnassus) التي تعرف الآن في تركيا بإسم (بدرون) وتقع في الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى. يتفق معظم الباحثون على انه عاش من (٤٨٠ ـ ٤٢٥ ق.م). انظر: مؤلف مجهول، العراق في تاريخ هيرودوت ـ ترجمة سليم طه التكريتي (مجلة المورد، عدد٣، م٨ لسنة ١٩٧٩م)، ص٨؛ خالد عبد الملك نعمان الحميري، سترابون واليمن (٦٣ ق.م ـ ٢٣م) رسالة ماجستير غير منشورة (كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد ،١٩٩٩م)، ص١٦ .

(١٩) سترابون: هو عالم جغرافي ورجل تاريخ اغريقي ولد في عام ٦٤ أو ٦٣ ق.م في مدينة اماسيا. المصدر نفسه، ص٢٨ .

(٢٠) سامي سعيد الأحمد ، الزراعة والري ـ بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م)، ج ٢، ص١٥٣ .

(٢١) سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق في القرن السابع ق.م، ط١ (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٣م)، ص٢٣٧ .

(٢٢) مردوخ ابلا ادينا: ويعني اسمه بالاكدية الاله مردوخ اعطاني وريثاً (ابناً بكراً)، ورد اسمه لأول مرة في عهد الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث (٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق.م)، تولى عرش بابل عام (٧٢١ ق.م). لمزيد من التفاصيل انظر: ماجد عبد الله الشمس ، من تاريخ الفترة الآشورية في القسم الجنوبي من العراق، (مجلة سومر، م٢٩ لسنة ١٩٧٣م)، ص٢٨٩ وما بعدها .

(٢٣) الأحمد، تاريخ العراق في القرن السابع، ص١٦٦ .

(٢٤) غزاله، الدولة البابلية الحديثة، ص١٢٥ .

(٢٥) عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ،(الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٧م) ، ص٢٩٨ .

(٢٦) عامر سليمان، جوانب من حضارة العراق القديم ـ بحث منشور ضمن كتاب العراق في التاريخ، ط١(بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م) ص١٩٥ .

(٢٧) جعفر عباس شويلة وحسين احمد سلمان، أهم المظاهر الحضارية ـ بحث منشور ضمن كتاب تاريخ العراق قديمه وحديثه، ط١ (بغداد شركة الوفاق للطباعة الفنية المحدودة، ١٩٩٨م)، ص٧١– ٧٢ .

(٢٨) باقر، المقدمة ،ج١ ص ٣٨–٣٩ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن الملوحة وأسبابها انظر: خطاب صكار العاني ونوري خليل البرازي، جغرافية العراق، (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م)، ص٧٥ .

(٢٩) شاه محمد الصيواني، أور بين الماضي والحاضر، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٦م)، ص١٩؛ باقر، المقدمة، ج١، ص٢٧٢ .

(٣٠) باقر، المقدمة، ج١، ص٣٤ .

(٣١) عن تفاصيل الصراع الآشوري البابلي انظر: فارس عجيل الخالدي، التطورات الداخلية في بلاد بابل من (٨٥٨ ـ ٦١٢ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م)، ص٤٢ وما بعدها .

انظر:

(32) A .K.Grayson , *Assyrian and Babylonian Chronicles* , (New York, 1975), p, 55; Sami Said Al-Ahmed, Southern, Mesopotamia In the Time of Ashurbanipal,(Paris,1968), p , 52 .

ـ سامي سعيد الأحمد، سميرة أميس، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٨م)، ص٦٨ .

(٣٣) غزاله، الدولة البابلية الحديثة، ص ١٢٨ .

(٣٤) المصدر نفسه، ص١٢٧ .

(٣٥) بورسبا: وتعرف حاليا باسم (برس نمرود)، تقع على بعد (١٠كم) جنوبي مدينة بابل الأثرية. فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ط٣ (بغداد دار، الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م)، ص٢٢٦ .

(٣٦) سبار: تسمى خرائبها الآن باسم (أبو حبه)، وتقع بالقرب من مدينة المحمودية. المصدر نفسه، ص٢٢٦ .

(٣٧) نفر: إحدى مدن العراق القديمة، وهي مركز عبادة الاله انليل، تقع خرائبها على بعد (٧كم) شمال مدينة عفك. جان بوتيرو، بلاد الرافدين (الكتابة ـ العقل ـ الآلهة) ـ ترجمة البير ابونا، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م)، ص٣٧٣ .

(38) Robert William Rogers, A history of Babylonia an Assyria, vol 11, (New York, 1900), pp,172 – 173 .

رضا جواد الهاشمي، التجارة ـ بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٥م)، ج٢، ص٢٠١ .

(٣٩) ساكز، عظمة بابل، ص٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

(٤٠) غزاله، الدولة البابلية الحديثة، ص١١٦-١٢٤ .

(٤١) المصدر نفسه، ص١٢٦- ١٢٨ .

(٤٢) الهاشمي، التجارة، ج٢، ص٢٠١ .

(٤٣) أورارتو: اسم أرمينيا القديم. ومن خلال الوثائق القليلة التي وصلتنا من الألف الأول قبل الميلاد نعرف أن اللغة التي كانت متداولة فيها هي اللغة الأورارتية المدونة بالخط المسماري، وقد اشتقت من اللغة الحورية. بوتيرو، بلاد الرافدين، ص٣٦٣ .

(٤٤) ساكز، عظمة بابل، ص٣٢٣ .

(٤٥) الأيونية : هي التسمية التي أطلقت على غرب آسيا الصغرى بعد أن استوطنت من قبل القبائل الأيونية، وكان عدد مدنها اثنتا عشرة مدينةً، شكلت فيما بعد ما يعرف بالجامعة الأيونية. انظر: سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم (إيران والأناضول)، ص٣٢٨ .

(٤٦) غزاله، الدولة البابلية الحديثة، ص١٢٩ .

(٤٧) الهاشمي، التجارة، ج٢، ص٢٠١ .

(٤٨) ساكز، عظمة بابل، ص٣٠٦ .

(٤٩) سليمان، موجز التاريخ السياسي، ج١، ص٢٤٨ و٢٥٠ .

(٥٠) غزالة، الدولة البابلية الحديثة، ص١٢٩ .

(٥١) ساكز، عظمة بابل، ص٣٢٤ .

(٥٢) فوزي رشيد، المعتقدات الدينية ـ بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م)، ج١، ص١٨٦ .

(٥٣) باقر، المقدمة، ج ١، ص٣٢٨ .

(٥٤) سليمان، جوانب من حضارة العراق، ص٢١٢ ـ ٢١٣ .

(٥٥) باقر، المقدمة، ج١، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٥٦) سامي سعيد الأحمد، الإدارة ونظام الحكم ـ بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م)، ج٢، ص٩ .

(٥٧) باقر، المقدمة، ج١، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٥٨) ساكز، عظمة بابل، ص٥٨ .

(٥٩) أحمد مالك الفتيان، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١م)، ص١٠٣ .

(٦٠) أورو انمكينا: هو ثامن ملوك سلالة لكش الأولى، حكم من (٢٣٧٨ ـ ٢٣٧٠ق.م). ويعد أول مصلح اجتماعي في التاريخ البشري، وعلى الرغم من أنه أشار في كتاباته إلى أنه سن القوانين إلا أن تلك القوانين لم تصلنا. رشيد، الشرائع العراقية، ص٢٢٣؛ باقر، المقدمة، ج١، ص٣٤٩ .

(٦١) الفتيان، نظام الحكم، ص٥١- ٥٢ .

(٦٢) ساكز، عظمة بابل ، ص٣٠١ .

(٦٣) رو، العراق القديم، ص٥٣٦ – ٥٣٧ .

(٦٤) معبد أي ـ ببار: معبد الاله شمش (اتو) في مدينة لارسا، بني هذا المعبد من قبل مؤسس سلالة أور الثالثة الملك أور نمو، ثم وسع من قبل ملك لارسا "ريم سين" الذي حكم من (١٨٢٢ ـ ١٧٣٦ ق.م). رشيد، الشرائع العراقية، ص٢٣٢ .

(٦٥) معبد أي ـ أنا: ويعني اسمه معبد السماء، وهو معبد الإلهة اننا (عشتار) في مدينة الوركاء، ويطلق الاسم نفسه على منطقة المعابد الواقعة حول الزقورة في الوركاء. المصدر نفسه، ص٢٣٢ .

(٦٦) اجيبي : هي مؤسسة مصرفية في مدينة سبار اشتهرت بنشاطها التجاري الذي شمل مناطق واسعة من الإمبراطورية البابلية الحديثة واستمر نشاطها حتى العهد الأخميني، وقد عاشت هذه الشركة جنباً إلى جنب مع المصارف المعبدية. أنظر: يحيى، بابل في العهد الأخميني، ص١٩٣ .

(٦٧) موراشو: هي شركة تجارية كبيرة نشأة في مدينة نفر وكانت ملكاً لشخص يدعى موراشو وأولاده. المصدر نفسه، ص١٩٥ .

(٦٨) غزاله، الدولة البابلية الحديثة، ص١١١ وما بعدها .

(٦٩) ساكز، عظمة بابل، ص٣٠١ .

(٧٠) رو، العراق القديم، ص٥٣٥ .

(٧١) حياة، نبو خذ نصر الثاني، ص٩١ .

(٧٢) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٧ .

(٧٣) رو، العراق القديم ، ص٥٣٦ .

(٧٤) باقر، المقدمة، ج ١، ص٥٧٧ .

(٧٥)غزاله، الدولة البابلية، ص١١١ .

(٧٦) المصدر نفسه، ص١١٢.

(٧٧) حياة، نبوخذ نصر الثاني، ص٩١ .

(٧٨) ساكز، عظمة بابل، ص٣٠٤ .

(٧٩) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٧؛ رو، العراق القديم، ص٥٣٥ .

(٨٠) ساكز، عظمة بابل، ص٣٠٤ .

(٨١) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٧ .

(٨٢) ساكز، عظمة بابل، ص٣٠٥ .

(٨٣) هديب، الدولة البابلية، ص١١٥ .

(٨٤) لمزيد من التفاصيل انظر: ساكز، عظمة بابل، ص٣٠٢ – ٣٠٣ .

(٨٥) سليمان، موجز التاريخ السياسي، ج١، ص٢٥٣ .

(٨٦) رو، العراق القديم، ص٥٣٧؛ انظر أيضا: باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٨ .

(٨٧) هديب، الدولة البابلية، ص ١١٥ .

(٨٨) باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج١، ص٢٥٣ .

(٨٩) سليمان والفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص٢٠٦ .

(٩٠) اوتس، بابل تاريخ مصور، ص٢٠٢ .

(٩١) ساكز، عظمة بابل، ص٣٠٦ .

(٩٢) سليمان والفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص٢٠٦ .

(٩٣) ساكز، عظمة بابل، ص٣٠٦ .

(٩٤) حياة، نبوخذ نصرا لثاني، ص٩٠ .

(٩٥) اوتس، بابل تاريخ مصور، ص٢٠٢ .

(٩٦) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٨ – ٥٥٩ .

(٩٧) الشيقل: وزن بابلي قديم لايعرف تقديره على وجه التحديد في الوقت الحاضر ولكن جورج كونتنيو يقدره بثلاثة من عشرة من الاونز. ياكوبسون، التركيب الاجتماعي للإمبراطورية الآشورية الحديثة ـ بحث منشور ضمن كتاب العراق في التاريخ ـ لجماعة علماء الآثار السوفيت ـ ترجمة سليم طه التكريتي، ط٢(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م)، ص٤٣٨ .

(٩٨) البشل: مكيال انكليزي قديم يستعمل لكيل الحبوب ويعاد (٣٥–٣٦ لتراً) وهو لا يزال يستعمل إلى الآن. حسن النجفي، معجم المصطلحات والإعلام في العراق القديم، ط١(بغداد، الدار العربية، ١٩٨٢م)، ص٣٤ .

(٩٩) رو، العراق القديم، ص٥٣٨ .

(١٠٠) باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج١، ص٢٥٣ .

(١٠١) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٩ .

(١٠٢) رو، العراق القديم، ص٥٣٩ .

(١٠٣) سليمان والفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص٢٠٦ .

(١٠٤) حول ذلك انظر: ص٩ – ١٠ من البحث .

(١٠٥) سليمان، موجزا لتاريخ السياسي، ج١، ص٢٥٢ – ٢٥٣ .

(١٠٦) مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٢٦٢ – ٢٦٣؛ رو، العراق القديم، ص٥١١ .

(١٠٧) المصدر نفسه، ص٢٦٤ .

(١٠٨) باقر، المقدمة، ج١، ص٥١ ؛ سليمان، موجز التاريخ السياسي، ج١، ص٢٥٢ .

(١٠٩) سليمان والفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص٢٠٢ .

(١١٠) حول ذلك انظر: احمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ، ط٥ (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م)، ص٤٧٧ وما بعدها .

(١١١) الاومان ماندا: هومصطلح أثيرة حوله الكثير من المناقشات، ويبدو أنه كان يعني ما يعنيه مصطلح الحشود (Hordes). ومن المؤكد أن الاومان ماندا ضموا عناصر سكيثية إلى جانب العناصر الأخرى، وجاء أول ذكر لمصطلح الاومان ماندا في نصوص الملك عمو صادوق من سلالة بابل الأولى . ساكز،عظمة بابل، ص١٦٨ .

(١١٢) اوتس، بابل تاريخ مصور، ص٢٠٢ .

(١١٣) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٣ .

(١١٤) باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج١، ص٢٥٤؛ انظر أيضا:

A-Leo-Oppenheim,Texts from the Accession year of Nabonidus to the fall of Babylon, In Ancient Near Eastern Texts,(New-Jersey, 1966),p305 . (١١٥)

الهاشمي، التجارة، ج٢، ص٢٠٢؛ باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ص٢٦٤؛ انظر أيضا: ص١٥ من البحث .

(١١٦) باقر، المقدمة، ج١، ص٥٥٢؛ الأحمد، العراق في التاريخ ص١٧٦ .

(١١٧) أسامه، بابل في العصر الأخميني، ص٩٩ .

(١١٨) رو، العراق القديم، ص٥١١ – ٥١٨ .

(١١٩) سامي سعيد الأحمد، سلالة بابل الحديثة (٦٢٦ ــ ٥٣٩ ق.م) ـ بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م)، ص١٧٦ .

(١٢٠) أسامه، بابل في العصر الأخميني، ص١٠٧ .

(١٢١) رو، العراق في التاريخ، ص٥١٦ .

(١٢٢) أسامه، بابل في العصر الأخميني، ص١١٤– ١١٥ ؛ انظر أيضا:

. Sidney Smith, Babylonian historical texts, (London, 1924), p, 35 .

(١٢٣) المصدر نفسه، ص١٠٠ .

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أولا– المصادر العربية :

١ – احمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ، ط٥ (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م) .

٢– جعفر عباس شويلة وحسين احمد سلمان، أهم المظاهر الحضارية ــ بحث منشور ضمن كتاب تاريخ العراق قديمه وحديثه،(بغداد شركة الوفاق للطباعة الفنية المحدودة، ١٩٩٨م) .

٣– حسن النجفي، معجم المصطلحات والإعلام في العراق القديم، ط١(بغداد، الدار العربية، ١٩٨٢م) .

٤– حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني ٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م، (بغداد، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٣م) .

٥– خطاب صكار العاني ونوري خليل البرازي، جغرافية العراق، (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م).

٦– رضا جواد الهاشمي، التجارة ـ بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٥م)، ج٢ .

٧– سامي سعيد الأحمد ، الزراعة والري ــ بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م)، ج ٢ .

٨- سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق في القرن السابع ق.م، (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٣م) .
٩- سامي سعيد الأحمد، سميرة أميس، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٨م) .
١٠- سعيد الأحمد، الإدارة ونظام الحكم ــ بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م) .
١١- سامي سعيد الأحمد، سلالة بابل الحديثة (٦٢٦ ــ ٥٣٩ ق.م) ــ بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م) .
١٢- سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم (إيران والأناضول) .
١٣- شاه محمد الصيواني، أور بين الماضي والحاضر، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٦م)
١٤- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٣، (بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٧٧م)ج١.
١٥- طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م)، ج١ .
١٦- عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم ـ موجز التاريخ السياسي، (الموصل، دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م)، ج١ .
١٧- عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧م)
١٨- عامر سليمان ، القانون في العراق القديم،(الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٧م) .
١٩- عامر سليمان، جوانب من حضارة العراق القديم ــ بحث منشور ضمن كتاب العراق في التاريخ، ط١(بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م) .
٢٠- فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ط٣ (بغداد دار، الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م) .
٢١- فوزي رشيد، المعتقدات الدينية ـ بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م) .

ثانيا- المصادر المعربة :

٢٢- انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ ترجمة توفيق سليمان وآخرون، (دمشق،لام، ١٩٦٧م).
٢٣- جان بوتيرو، بلاد الرافدين (الكتابة ــ العقل ــ الآلهة) ــ ترجمة البير ابونا، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م) .
٢٤- جورج رو، العراق القديم ـ ترجمة حسين علوان، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٤م) .
٢٥- جون اوتس، بابل تاريخ مصور ــ ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي،(بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠م) .
٢٦- هاري ساكز، عظمة بابل ـ ترجمة عامر سليمان، ط٢، (بغداد ،دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٩م).
٢٧- ياكوبسون، التركيب الاجتماعي للإمبراطورية الآشورية الحديثة ـ بحث منشور ضمن كتاب العراق في التاريخ ــ لجماعة علماء الآثار السوفيت ـ ترجمة سليم طه التكريتي، ط٢ (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م) .

ثالثا– الرسائل والأطاريح :

٢٨– أحمد مالك الفتيان، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١م) .

٢٩– أسامه عدنان يحيى ، بابل في العصر الأخميني (٥٣٩ ـ ٣٣١ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣ م) .

٣٠– خالد عبد الملك نعمان الحميري، سترابون واليمن (٦٣ ق.م ــ ٢٣م) رسالة ماجستير غير منشورة (كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد ،١٩٩٩م) .

٣١– فارس عجيل الخالدي، التطورات الداخلية في بلاد بابل من (٨٥٨ ـ ٦١٢ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م) .

٣٢– هديب حياوي عبد الكريم غزاله، الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبو نئيد في قيادتها، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١م) .

رابعا– المجلات :

٣٣– عيد مرعي، بابل في عهد نبو نائيد آخر ملوكها ـ بحث منشور ضمن مجلة دراسات تاريخية، (جامعة دمشق، عدد ٦٣ــ ٦٤ حزيران، ١٩٩٩م) .

٣٤– ماجد عبد الله الشمس ، من تاريخ الفترة الآشورية في القسم الجنوبي من العراق، (مجلة سومر، م٢٩ لسنة ١٩٧٣م)

٣٥– مؤلف مجهول، العراق في تاريخ هيرودوت ـ ترجمة سليم طه التكريتي (مجلة المورد، عدد٣، م٨ لسنة ١٩٧٩م) .

خامسا– المصادر الأجنبية :

36– A .K.Grayson , *Assyrian and Babylonian Chronicles* ,(New York, 1975) .

37– Sami Said Al–Ahmed, Southern, Mesopotamia In the Time of Ashurbanipal,(Paris,1968) .

38- Robert William Rogers, A history of Babylonia an Assyria, vol 11, (New York, 1900) .

39- A-Leo-Oppenheim,Texts from the Accession year of Nabonidus to the fall of Babylon, In Ancient Near Eastern Texts,(New-Jersey) .

40- Sidney Smith, Babylonian historical texts, (London, 1924)